


**أضواء على سياسة
الدولة الإسلامية تجاه
غير المسلمين خلال العصر الأموي
[٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م]**

بقلم الدكتور

مصطفى محمد عبد النبي محمد عوض

مدرس التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية بالقاهرة

جامعة الأزهر







المستخلص

أضواء على سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال
العصر الأموي [٤١-١٢٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م]

بقلم الدكتور

مصطفى محمد عبد النبي محمد عوض

مدرس التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية
بالقاهرة جامعة الأزهر

تَمَنَّعَ غير المسلمين بكامل طوائفهم بنصيبٍ من الاحترام خلال عصر الدولة الأموية، ووصلوا لمنزلةٍ عاليةٍ لدى أغلب الخلفاء، ولم يقتصر دورهم في مجال محدد، أو منطقة معينة، بل شمل مجالاتٍ مختلفةً سياسية، وإدارية، واجتماعية، واقتصادية، وتجارية، وعلمية، ولم يكن اختلاف العقيدة يشكّل عائقًا أمام غير المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم؛ لوجودهم في مختلف الوظائف في الدولة الإسلامية، كما أن احترام كفاءتهم المهنية والعلمية كان مقترنًا باحترام معتقداتهم الدينية، واحترام أماكن العبادة الخاصة بهم تمامًا، فمبادئ التسامح والمحبة والتعايش المشترك لم تكن وليدة هذا العصر الحاضر، وإنما تعود بجذورها التاريخية إلى عصور قديمة عاشت فيها الحضارة الإسلامية والتي ظلت محطّ أنظار الغرب طيلة حقبٍ تاريخيةٍ عديدة، حيث وجد الناس في تلك الحضارة صورًا عديدة من التسامح والأخوة والتعايش المشترك على اختلاف مذاهبهم وأديانهم، والنماذج على ذلك عديدة ومتنوعة.



Abstract

Highlights of the Islamic State's policy towards non- Muslims during the Umayyad period (41-132 /661-750)

By Dr.

Mustafa Mohammed Abdul Nabi Mohammed Awad

History and Civilization Teacher At the Faculty of Arabic
Language in Cairo Al-Azhar University

Non-Muslims enjoy full sections of respect during the Umayyad State, got his high most of the caliphs, and not only in a specific area, or a particular region but different administrative areas of political, social, economic, commercial, scientific, and it wasn't different Creed is an obstacle to non-Muslims, Jews and Christians and others of their presence in various posts in the Islamic State, and respect for professionalism and scientific was accompanied by respect for their religious beliefs, and respect for their places of worship altogether, Alluding to the tolerance and love and coexistence were not offspring of this present age, but due to ancient historical roots which has Islamic civilization which has been out in the open for several historical West, where he found people in the civilization many images of tolerance and brotherhood and coexistence Shared on different persuasions, religions and forms on it are many and varied.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي فضّل الإنسان وكرّمه على سائر المخلوقات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، الذي رفع قدر الإنسان بإنسانيته، وجعل التقوى معياراً لأفضليته.

وبعد،،،،،

فإنّ الإسلام قد أقرّ بوحدة البشرية، مع اختلافها فيما يتكلمون به من لغاتٍ عدة، أو ما ينتمون إليه من شعوبٍ وقبائلٍ متنوعةٍ؛ بهدف معرفة بعضهم بعضاً فقط لا غير، فالاختلاف لا يعبر عن شيءٍ خاصٍ لأيّ شخص، ولا ينقص من كونه إنساناً؛ لأن الله - تعالى - جعل الناس من أصل واحد، وجعل أساس العلاقة بين كل البشرية هي التعارف والتسامح والتعايش والمحبة والسلم، وعلى هذا الأساس تكون الحروب أمراً عارضاً، حيث قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ النساء: ١.

فالإسلام لم يُعَمِّ شريعته على أساس اضطهاد المخالفين له، أو العمل على مصادرة حقوقهم وحرّياتهم، أو إكراههم على ترك عقائدهم والدخول في الإسلام، أو حتى التعدي على حقوقهم المادية أو الشخصية.

فالتسامح في الإسلام عبر عصوره التاريخية، وخاصة خلال عصر الدولة الأموية، كان على أساسٍ متينٍ رصينٍ في أزهى صوره، حيث شكّل أنموذجاً للتسامح والتعايش بين فئات المجتمع سواءً من عرب وعجم وبربر ومستعربين ومولدين وموآلٍ وغيرهم من الفئات الاجتماعية التي وفدت من



مختلف بقاع الأرض، لتتصهر في النهاية في بوتقةٍ واحدةٍ تميزت بخصائص حضاريةٍ مشتركة، وقد أصبح هذا التسامح والتعايش ركيزةً مهمةً من ركائز سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين.

وفي سبيل ردِّ بعض الشبهات حول موقف الإسلام من غير المسلمين، وكيفية التعامل معهم داخل الدولة الإسلامية من قبل المسلمين، وكذلك إظهار حقيقة الدور الذي منحه المسلمون لغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، وبيان الوجه المشرق للإسلام في التعامل مع غير المسلمين- كتبتُ هذا البحث الذي هو بعنوان:

أضواء على سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال

العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م)

خطة البحث:

تنقسم هذه الدراسة إلى مقدمةٍ بيّنتُ فيها أسباب اختياري هذا البحث، والخطة التي سرتُ عليها في معالجة موضوعاته، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: تناول: سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في الجانب السياسي والإداري، وقد بينتُ فيه تمتُّع غير المسلمين بمكانةٍ سياسيةٍ وإداريةٍ عاليةٍ لدى المسلمين خلال العصر الأموي، ووصول عددٍ منهم إلى مناصبٍ سياسيةٍ وإداريةٍ رفيعةٍ داخل الدولة الأموية مثل وظيفة الكاتب، وأمين سر الخليفة، وولاية الدواوين، وغيرها من الوظائف، أما **المبحث الثاني:** فتناول سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في الجانب الديني، وقد تحدثتُ فيه عن حرص الخلفاء المسلمين على احترام مقدساتهم، وعدم هدم كنائسهم، بل السماح لهم بإقامةٍ وبناءٍ ما تهدم منها،



ووضع الجزية عمن دخل في الإسلام منهم، ومشاركة الخلفاء والولاة لغير المسلمين في احتفالاتهم، وتعليق بعض المستشرقين على تلك الروح التي كانت سائدةً من جانب المسلمين تجاه غيرهم، أما المبحث الثالث: فكان الحديث فيه عن سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في المجال العلمي، حيث تحدثت فيه عن اهتمام الخلفاء الأمويين بتقريب العلماء من غير المسلمين، وتشجيع الدولة الإسلامية للعلم وتقديرهم للعلماء من غير المسلمين، وتناولت بعضًا من العلوم التي برز فيها غير المسلمين خاصة؛ مثل العلوم العقلية، والعلوم العربية، أما المبحث الرابع والأخير: فكان عنوانه سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في المجال الاجتماعي، وكان الحديث فيه عن عدد من المظاهر الاجتماعية التي كانت سائدةً بين المسلمين وغيرهم خلال عصر الدولة الأموية؛ مثل المساواة بين الجميع أمام القضاء، والمصاهرة، وحرية الاحتفال بالأعياد، والودّ وتبادل الزيارة بين المسلمين وغير المسلمين، والتكافل الاجتماعي.

ثم ختمتُ البحثَ بذكر أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها هذه الدراسة، وذكر أهمّ المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث.

وختامًا: فما هو جهدي، وهو جهد المُقَلِّ، فإن كنتُ قد وفقْتُ فالفضل لله وحده الذي وَفَّقَ وأعان، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدتُ ولم أدخِرْ وقتًا أو جهدًا في سبيل إعطاء هذا العمل حَقَّهُ - والله أسألُ أن ينفعَ به، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



المبحث الأول: سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في

الجانب السياسي والإداري

اعتمد الأمويون (٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩م) في النظام الإداري والسياسي للدولة الإسلامية على كثير من غير المسلمين، حيث كانوا موضع ثقة بصرف النظر عن ديانتهم ما داموا يتمتعون بالكفاءة والخبرة التي تؤهلهم لتولي مثل هذه الوظائف والمناصب.

١ - وظيفة الكاتب وأمين السر:

ومن غير المسلمين الذين كانوا موضع هذه الثقة من جانب الخلفاء الأمويين:

سرجون بن منصور الرومي الذي عُرف عنه أنه ينتمي لأسرة مسيحية، ومع ذلك لم تمنعه ديانته هذه من أن يكون مُقربًا من عدد من الخلفاء الأمويين، حيث أصبح موضع سرهم، ومسئولاً عن مؤسسات مهمة في الدولة الأموية، إضافة إلى أنه كان كاتبًا وأمين سر للخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (١)، حيث ولاه ديوان (٢) الرسائل (١)، ثم

(١) خليفة بن خياط (أبو عمرو الشيباني ت: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص٢٨٨، ص٢٩٩؛ ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج٢٠، ص١٦١.

(٢) ديوان: مفرد دواوين، ومعناه الدفتر، أو السجل، وقد بدأ العمل بالديوان على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٠هـ / ٦٤١م، ثم صار يطلق على أماكن إدارات شؤون الدولة على اختلاف أنواعها. مجد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في

==



أضاف إليه ديوان الخراج (في العراق)^(٢)، الذي يُعدُّ من أهمِّ الدواوين في الدولة الإسلامية^(٣)، وحتى بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠هـ/ ٦٨٠م أصبح سرجون مُقَرَّبًا من الخليفة الثاني يزيد بن معاوية الذي تركه

==

الحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(١) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ج٦، ص ١٨٠؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج٨، ص ١٥٦.

(٢) ابن مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت: ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار سروش، إيران، ط٢، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٢٢.

(٣) ديوان الخراج: الشيء الذي يُخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم، وهو أيضًا ما يوضع من ضرائب على الأرض أو على محصولاتها؛ مقابل استغلال الرُّزاع لها، وهو من أقدم أنواع الضرائب. ابن رجب الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ت: ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م): الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٩؛ محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص ٢٣٠.



كما هو كاتبًا على ديوان الخراج، كما تولّى ديوان الجند^(١) والخراج لعبد الملك بن مروان^(٢).

والمعروف أن عبد الملك بن مروان^(٣) كان قد اتخذ كاتبًا نصرانيًا عُرف باسم شمعل^(٤)، وكذلك وصل بعض هؤلاء النصاري إلى درجة عالية في عهد الخليفة سليمان ابن عبد الملك بن مروان؛ مثل ابن بطريق الذي

(١) ديوان الجند: يُعرف بديوان الجيش أو العساكر، وهو أول ديوان في الإسلام، أنشأه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقوم بإحصاء المقاتلين، وتثبيت أسمائهم، وانتماءاتهم العرقية والجغرافية، وتثبيت العطاء لهم، وتحديد رواتبهم ومواعيدها. محمد علي عبد الحفيظ، عبد المعز فضل عبد الرزاق محمود: دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص١٤٨.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج ٢٢، ص ٣٢٠.

(٣) ابن مروان أبو العباس، ولد سنة ٤٨هـ/٦٦٨م، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ/٧٠٥م، أنشأ الجامع الأموي بدمشق، وكان قليل العلم، يحب البناء والعمارة، وقام بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومات في جمادى الآخرة ٩٦هـ/فبراير ٧١٥م، وعمره ٥١ سنة. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن قايماز ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج٤، ص٣٤٧، ٣٤٨؛ الزركلي (خير الدين بن محمود الدمشقي ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٨، ص١٢١.

(٤) الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت: ٣٣١هـ/٩٤٣م): كتاب الوزراء تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص٤٠.



اتخذته سليمان كاتبًا مقربًا إليه، وهو الذي أشار عليه ببناء مدينة الرملة^(١)، وكذلك قرَّب هشام بن عبد الملك^(٢) تاذري بن أسطين النصراني وجعله كاتبًا له، ثم أنعم عليه وولاه ديوان حمص^(٣).

٢- وظيفة حاكم المدينة، ونائب الوالي:

كما كان هناك بعض غير المسلمين الذين وُلوا بعض المدن، فمثلاً ثيودسيوس - وهو من المسيحيين البارزين في مصر - قد زار دمشق والتقى فيها والخليفة يزيد بن معاوية، وعاد إلى مصر حاملاً قرارًا بتوليئه حاكمًا على مدينة الإسكندرية^(٤).

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) ابن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية أبو الوليد: أمير المؤمنين، الأموي، كان يلقب بالسراق، ولد بدمشق سنة ٧١هـ / ٦٩١م، وبويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ / ٧٢٤م، ومات سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م. ابن شاکر (محمد بن شاکر ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ج ٤، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب، ص ٦٠.

(٤) الإسكندرية: مدينة مشهورة بمصر، تقع على ساحل البحر المتوسط، قيل: إن الإسكندر الأكبر هو من بناها، وهي ثاني أهم مدينة في مصر بعد القاهرة، وتعدُّ العاصمة الثانية لمصر، والعاصمة القديمة لها. ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٦م): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص ١٢٤ - ١٢٦؛ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ١٩٢، ١٩٣؛ مصطفى محمد عوض: مخصصات الحرمین الشریفین فی مصر فی العصر الأيوبي



ومربوط^(١) والمناطق التابعة لهما^(٢).

وقد تَجَلَّتْ سياسة الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي بوصول بعض غير المسلمين إلى أن أصبحوا نُؤَابًا للوالي أو الأمير، فقد رُوِيَ أَنَّ الأمير الأمويَّ عبد العزيز ابن مروان^(٣) حينما كان واليًا على مصر (٦٥هـ/

==

(٥٦٧ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م)، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، القاهرة، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م، ص ٦٥.

(١) مربوط: قرية من قرى مصر تقع بالقرب من مدينة الإسكندرية، وهي قرية ساحلية على بعد ٣٥ كيلو متر من مدينة الإسكندرية. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، مج ٥، ص ١١٩؛ محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ق ٢، ج ٤، ص ٢٥٠.

(٢) أ. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ١٦.

(٣) ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد بالمدينة المنورة، وتولى ولاية مصر نيابةً عن أبيه مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ / ٦٨٥م؛ فسكن حلوان، ومات بها، ونقل إلى الفسطاط فدفن بها سنة ٨٥هـ / ٧٠٤م. الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ج ١٨، ص ٣٤٣ - ٣٤٥؛ الزركلي: الأعلام، ج ٤، ص ٢٨.



٦٨٥م - ٨٥هـ / ٧٠٤م) اتخذ نائبين له من الأقباط المسيحيين؛ أحدهما للوجه البحري والآخر للوجه القبلي^(١).

وقد علّق آدم متز على سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين والتي كانت سائدةً خلال العصر الأموي، والمكانة التي وصل إليها غير المسلمين في الدولة الإسلامية بقوله: "ومن الأمور التي نعجب لها كثرة عدد العمال المتصرفين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية"^(٢).

ومما يلفت النظر أن الأمويين اعتمدوا بصورةٍ كبيرةٍ على موظفين من النصارى، وكان اعتمادهم على اليهود بصورةٍ أقلّ؛ وذلك بسبب سوء العلاقة بين المسلمين واليهود منذ أن كانوا متجاورين معهم في المدينة المنورة، حيث رأوا منهم المكر والخديعة، في حين وجدوا من النصارى محبةً ومودةً ووفاءً منذ أن رحّب بهم نصارى الحبشة في هجرتهم الأولى، كما أنّ النصارى - خاصةً في بلاد الشام - كانوا بارعين في مجال العلوم والإدارة؛ بسبب اتّصالهم الدائم بالحضارة البيزنطية ذات التطور والتقدم الحضاري، في حين

(١) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٣٣١ - ٣٣٢؛ سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ١٩٠.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله للعربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ج١، ص ٨٣.

أضواء على سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال العصر الأموي



لم يكن لليهود عملٌ في بلاد الشام إلا في فنون الصباغة والدباغة والحجامة والاقتصاد^(١).

(١) حامد محمد الهادي الشريف: أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٨١.



المبحث الثاني: سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في

الجانب الديني

تَمَنَّعَ غير المسلمين في الجانب الديني بالحرية الدينية الكاملة، حيث حرص الخلفاء المسلمون على احترام مقدساتهم، وعدم هدم كنائسهم، بل السماح لهم بإقامة وبناء ما تهدم منها، أو ما تعرَّض منها للتصدُّع نتيجة للعوامل الطبيعية؛ مثل تعرُّضها للزلازل، أو ما شابه ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

١- الموقف من دور العبادة:

سمح الأمويون ببناء الكنائس لممارسة غير المسلمين شعائهم وطقوسهم الدينية، فلم يتعرض الأمويون لهدم هذه الكنائس والأديرة حتى في البلاد المفتوحة عنوةً - مع أن للمسلمين الحق في هدمها؛ نظرًا لقتال أهلها للمسلمين عند فتحها -، وكانوا نادرًا ما يعملون على هدمها أو تحويلها لمساجد، وإذا حدث ذلك من أيٍّ من الخلفاء أو الولاة؛ نظرًا لسوء فهم أو عمل خاطئ منه، فإنَّ الأمر لم يكن يستمر؛ بل كان يتمُّ تصحيح هذا الخطأ والعودة للمسار الصحيح مرةً أخرى برَدِّ كنائسهم لهم أو تعويضهم عنها، ومن أمثلة ذلك: قيام الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ / ٧٠٥م - ٩٦هـ / ٧١٤م)^(١) ببناء الجامع الأموي في الموضع الذي كان في الأصل كنيسةً

(١) ابن مروان أبو العباس، ولد سنة ٤٨هـ / ٦٦٨م، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م، أنشأ الجامع الأموي بدمشق، وكان قليل العلم، يحب البناء والعمارة، وقام بعمارة مسجد رسول الله ﷺ، ومات في جمادى الآخرة ٩٦هـ / فبراير ٧١٥م،



لأهل دمشق يتعبدون فيها أثناء حكم الروم لبلاد الشام^(١)، وكانت تُعرف خلال هذه الفترة بكنيسة يوحنا المعمدان^(٢) أو ماريحنا (ماري حنا)^(٣)، فبعد دخول المسلمين دمشق اتخذوا القسم الشرقي للكنيسة مسجدًا يصلون فيه، حتى أمر الوليد بن عبد الملك بهدم الكنيسة، وإنشاء الجامع الأموي على كامل المساحة^(٤).

وعمره ٥١ سنة. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٦٣، ص ١٦٤-١٨٧؛ الذهبي: سير

أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٤٧.

(١) كان هذا الموضع في الأصل معبدًا وثنيًا للإله حدد الآرامي، ثم تحول في العصر الروماني إلى معبدٍ للإله جوبيتر، وبعد ذلك قام الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير بتحويله إلى كنيسة عُرفت بكنيسة يوحنا المعمدان. حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١١٣؛ رأفت محمد النبرواي: الآثار الإسلامية العمارة والفنون والنقود، نشر المعهد العالي للدراسات الإسلامية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٤١.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ١٤١.

(٣) أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط ١، (د.ت.)، ج ١، ص ١٩٩.

(٤) ابن الفقيه: البلدان، ص ١٥٧؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١١٦ وما بعدها؛ ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي ت: ٦١٤هـ / ١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٣٥، ٢٣٦.



ولكن عمر بن عبد العزيز^(١) أمر بتعويضهم عنها^(٢)، فقد ذكر المؤرخون أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩هـ / ٧١٨م شكوا النصارى إليه ما فعل الوليد في كنيسهم، فكتب إلى عامله يأمره برّد ما زاده في الجامع عليهم، فكَرِهَ أهل دمشق ذلك، وقالوا: "يهدم مسجدنا بعد أن أَدَنَّا فيه وصلَّينا ويريده بَيْعَة، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي^(٣) - وهو قاضي دمشق - وغيره من الفقهاء، فأقبلوا على النصارى وسألوهم أن

(١) ابن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو حفص، ولد عام ٦١هـ / ٦٨١م بالمدينة المنورة، وقيل: بل ٦٣هـ / ٦٨٣م، تولى إمارة المدينة للوليد بن عبد الملك، وتولى الخلافة بعده من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩هـ / ٧١٨م، وقد أطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، وأخبره في عدله وحسن سياسته كثيرة، مات سنة ١٠١هـ / ٧٢٠م، ومدة خلافته سنتان ونصف. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ١١٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٥، ص ٥٠.

(٢) في حين يرى المؤرخ ابن شداد أنّ الوليد بن عبد الملك هو من عوّضهم عن ذلك بأن أعطاهم أربع كنائس غير داخلة في عهد الصلح عند فتح دمشق، وهذه الكنائس هي: كنيسة حميد بن درة، وكنيسة في موضع سوق الجبن، وكنيسة مريم، وكنيسة المصلبة. ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع، بهاء الدين ت: ٦٣٢هـ / ٢٣٥م): الأعلام الخيرية في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د. ط)، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م، ص ٥٥.

(٣) سليمان بن حبيب المحاربي الداراني أبو بكر، قاضي، من ثقات التابعين من أهل الشام، عُرف بقاضي الخلفاء، استمرّ في قضاء دمشق ٣٠ عاماً، وهو يُنسب إلى داريا من غوطة دمشق، ومات سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م. مغلطاي (ابن قليج بن عبد الله المصري ت: ٧٦٢هـ / ١٣٦١م): إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج ٦، ص ٤٨، ٤٩؛ الزركلي: الأعلام، ج ٣، ص ١٢٢.



يُعطوهم جميع كنائس الغوطة^(١) التي أخذت عنوةً وصارت في أيدي المسلمين على أن يتنازلوا عن كنيسة يوحنا وعدم المطالبة بها مرة ثانية، فرضوا بذلك وأعجبهم؛ فكتبوا به إلى عمر بن عبد العزيز، فسُرَّ به وأمضاه^(٢).

٢- الموقف من الدور والأرض:

ومن مظاهر سياسة الدولة الإسلامية مع غير المسلمين وتمتعهم بالحرية الدينية، وعدم المساس بأمنهم وسلامتهم أو مقدساتهم الدينية: ما ذكره ابن عساکر أنه بعد فتح دمشق أقام بها من بطارقة الروم اثنا عشر بطريقاً^(٣)، فأقروا في منازلهم، وكان لكلٍ بطريق منهم في منزله ما كان يشبه

(١) الغوطة: من الغائط، وهو المظمن من الأرض، وجمعه غيطان وأغواط، وهي محيطه بدمشق، وكثيرة الأنهار والأشجار، وتُعد من أخصب المناطق التابعة لدمشق، وأكثرها مياهاً. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج ٤، ص ٢١٩؛ الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت: ٩٠٠هـ / ٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤٣١.

(٢) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ١٢٨؛ النعمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ت: ٩٢٧هـ / ١٥٢١م): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٢٨٩؛ علي طنطاوي: الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ، دار المنارة، جدة، السعودية، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ٣٨، ٣٩.

(٣) البطريق هو الرئيس الأعلى للأساقفة، وكان لهم مكانة كبيرة في المكان الذي كانوا يقيمون فيه، حيث يمتلكون القصور والبيوت الفخمة في الأماكن التي يقيمون فيها.

==



الكنيسة، فأقاموا بها حيناً، وعندما خرجوا من دمشق وتركوا تلك المنازل، أقطعها معاوية قوماً من أشرف دمشق، وعندما تولى عمر بن عبد العزيز أخرج أولادهم منها وردّها على الأعاجم^(١).

ومن المواقف الرائعة التي تؤكد عملية التسامح والتعاون وعظمة الإسلام في احترام حقوق الآخرين في العصر الأموي، أنه بعد قيام قتيبة بن مسلم الباهلي^(٢) بفتح مدينة سمرقند، سنة ٩٩هـ / ٧١٨م، افتتحها دون أن يدعوا أهلها للإسلام أو الجزية، ثم يمهلم ثلاثاً كعادة المسلمين في فتوحاتهم، ثم يبدأ القتال؛ علم أهل سمرقند أنّ هذا الأمر مخالف للإسلام، فكتب كهنثها رسالة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأرسل عمر رسالة إلى عامله على سمرقند، أن يجعل لهم القاضي جُمُيع بن حاضر الباجي لينظر في شكواهم، فقال القاضي لخليفة قتيبة، وقد مات قتيبة - رحمه الله - أنت ما تقول؟ قال: "لقد كانت أرضهم خصبة وواسعة، فخشي قتيبة إن

==

بنيامين التطيلي (الرابي ابن الرابي يونة الإسباني ت: ٥٦٩هـ / ١١٧٤م): رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٣١٩؛ ستيفن رنسيان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ٩٢، ٩٣.

(١) تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٣٥٣.

(٢) أبو حفص قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو بن الحصن بن ربيعة بن خالد الباهلي، ولد سنة ٤٤٩هـ / ٧٠٥م، ومات في ذي الحجة ٩٦هـ / ٧١٥م، وقيل: ٩٧هـ / ٧١٦م. ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد ت: ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د. ط) ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، مج ٤، ص ٨٦ - ٨٨.



أذنهم وأمهلهم أن يتحصنوا عليه.....، قال القاضي: لقد خرجنا مجاهدين في سبيل الله وما خرجنا فاتحين للأرض أشراً وبطراً".....، ثم قضى القاضي بإخراج المسلمين^(١).

فلما رأى أهل سمرقند ما لا مثيل له في تاريخ البشرية من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها، قالوا: هذه أمة حُكْمُها رحمة ونعمة، فدخل أغلبهم في دين الله، وفُرضت الجزية على الباقيين^(٢).

وعندما أجلى الوليد بن يزيد^(٣) كثيراً من أهل الذمة عن جزيرة قبرص^(٤)، ونقلهم إلى بلاد الشام، واستقرَّ المسلمون مكانهم في بيوتهم

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الوراق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) ابن عبد الملك بن مروان، ولد سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م، عهد له أبوه بالخلافة بعد عمه هشام، فتولاها بعد موت عمه هشام سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م مدة سنة وثلاثة أشهر، وقتل في قصر النعمان بن بشير سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م. ابن شاعر: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٢٥٦ - ٢٥٧؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٢٣.

(٤) جزيرة قبرص: هي أكبر جزر شرقي البحر المتوسط، وأقربها إلى ساحله الشرقي، تبعد عن ساحل تركيا الجنوبي ٦٠ كم، وعن الساحل الشامي مسافة ٩٠ كم، وعن الساحل المصري المصري ٤٠٠ كم، وتبعد عن ساحل بلاد اليونان ٩٠٠ كم، ومساحتها ٩٢٥١ كيلو متر مربع. محمود شاعر: مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٩٨ - ٩٩.



وأراضيهم؛ عَظُمَ ذلك على الفقهاء والعلماء؛ لأنهم وجدوا في ذلك ظلمًا لهم، فقام يزيد بن الوليد^(١) بعد تولّيه الخلافة بإعادتهم إلى بلادهم^(٢).

ومن مظاهر تمنّعهم بالحماية والتسامح والتعاون الحرصُ على عدم التعرض لغير المسلمين أو ظلمهم وخاصة الرهبان أو العامة منهم، وإذا حدث ذلك من أحد من الولاة فكان يُقَابَلُ بالحزم والشدة من جانب الخلفاء أو الفقهاء، فقد ذُكِرَ أنَّ والي الشام صالح بن علي^(٣) قام بطرد بعض أهل لبنان بعد أن شكّا إليه عامل الخراج تراخيهم عن دفعه، فقام الوالي بطردهم جميعًا من قراهم وبيوتهم، فتصدّى له الإمام الأوزاعي^(٤)، وأرسل إليه رسالة قال

(١) ابن عبد الملك بن مروان أبو خالد، الملقب بالناقص؛ لكونه نقص عطاء الجنود، ولد بدمشق سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م، ثار على ابن عمه الوليد بن يزيد، وبويع بالخلافة، ومات بالطاعون سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م، وقيل: مات مسمومًا، وكانت خلافته ستة أشهر فقط. ابن شاکر: فوات الوفيات، ج ٤، ص ٣٣٣، ٣٣٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ١٩٠، ١٩١.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٧.

(٣) صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو عبد الملك، ولد بالشرارة من أرض البلقاء من أعمال دمشق، وشارك مع أخيه في فتح دمشق، وتولى إمارة مصر ودمشق وغيرها من الولايات، ومات سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٢٣، ص ٣٥٧؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ٩، ص ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٤) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، ولد ببعلبك سنة ٨٨هـ / ٧٠٧م، أصله من بلاد السند، وعمل بالكتابة والرسائل، زار العديد من البلدان الإسلامية كالإمامة والبصرة، وصنف العديد من الكتب، وكان الخليفة المنصور يعظمه ويستمع له، ومات في ٢ صفر ١٥٧هـ / ٢١ ديسمبر ٧٧٣م. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٣٥، ص ٢٢٨، ٢٢٩؛ الذهبي ==



فيها: "قد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وحكم الله تعالى: ﴿الْأَتَزِرُّ وَازِرَةً وَرَزْرَأُخْرَى﴾ النجم: ٣٨، وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به، وأحق الوصايا أن تُحفظ وتُرعى وصية رسول الله ﷺ، فإنه قال: من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه، من كانت له حرمة في دمه فله في ماله والعدل عليه مثلها، فإنهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة، ولكنهم أحرارٌ أهل ذمة"^(١).

٣- حرية العقيدة:

ومما يُدلل على روح التسامح والتعايش السلمي وسياسة الدولة الإسلامية التي كانت سائدة في ذلك العصر: وضع الجزية عن دخل في الإسلام، كما حدث في عهد عمر بن عبد العزيز حين كتب إلى واليه على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي^(٢): "انظر من صلّى قبلك إلى القبلة، فضغ عنه الجزية"، فسارع الناس إلى الدخول في الإسلام، فقيل للجراح: إن

==
(شمس الدين محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م): تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ج١، ص١٣٤-١٣٧.
(١) الهروي (أبو غييد القاسم بن سلام ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٩م): الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ط١، (د. ت)، ص٢٢٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص١٦٣.
(٢) أبو عقبة أمير خراسان، أحد الأشراف الشجعان، دمشقي الأصل والمولد، تولى البصرة للحجاج ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، كان بطلاً، شجاعاً، ولأه يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان، استشهد بمرج أربيل سنة ١١٢هـ / ٧٣٠م. ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج٧٢، ص٥٦-٦٠؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١١٥.



الناس قد دخلوا في الإسلام، وإنما ذلك نفورًا من الجزية، فامتحنهم بالختان، فكتب الجراح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: "إن الله بعث محمدًا ﷺ داعيًا، ولم يبعثه خاتئًا، وفي رواية أخرى: جابيًا"، فأقبل غير المسلمين على الدخول في الإسلام^(١).

ومن أروع صور التعامل والتسامح والتعايش مع غير المسلمين مشاركة الخلفاء والولاة لغير المسلمين في احتفالاتهم، حيث كانوا يحضرون هذه المناسبات الدينية بأنفسهم أو يرسلون من ينوب عنهم تكريمًا لهم، فهذا أسد بن عبد الله (ت: ١٢٠هـ / ٧٣٨م) والي خراسان في عهد الدولة الأموية يحضر عيد المهرجان أحد أعياد الزرادشتية^(٢).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٥٥٩؛ ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٩٥؛ يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله للعربية من الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريذة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ٢٨٤.

(٢) الزرادشتية: إحدى ديانات الأمة الآرية القديمة "إيران، والهند"، وتُنسب إلى زرادشت، ومن تعاليمهم أن العالم خُلق من شيتين (النور والظلام)، وهما دائمًا في نزاع مستمر، فأحيانًا يغلب النور وأحيانًا يغلب الظلام، ويزعم الزرادشتية أن الروح باقية في جسم الإنسان بعد أن تخرج منه بحيث تستطيع أن تشعر بالألم والسرور لمدة ثلاثة أيام، وحرّم زرادشت الصوم على الرُّعاع، ويعتقدون بتقديس الماء والهواء والنار والتراب، وبسبب تقديس هذه النار اتخذها زرادشت رمزًا وشعارًا. مجموعة مؤلفين: موسوعة الأديان الميسرة، نشر دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ==



بل كان من صور التعامل والتسامح أنَّ الخلفاء كانوا يُجَلِّون القادة الدينيين للطوائف غير الإسلامية في المجتمع الإسلامي، ويشاركون في تنصيبهم، ويخرجون بأنفسهم لمقابلتهم، فيذكر بنيامين التطيلي أنَّ رئيس الجالية اليهودية في بغداد كان يُعرف بالجالوت، وكانت له مراسم خاصة عند تتويجه، منها قول أحد المؤرخين: "عندما يخرج رأس الجالوت لمقابلة الخليفة يسير معه الفرسان من اليهود والمسلمين، ويتقدم الموكب منادٍ ينادي بالناس: اعملوا (أفسحوا) الطريق ... ويكون الرئيس ممتطيًا صهوة جواده وعليه حلة من حرير مقصب (مزركش)، وعلى رأسه عمامة كبيرة تتدلى منها قطعة قماش مربوطة بسلسلة منقوش عليها شعار الخليفة، وعندما يمثل في حضرة الخليفة ... ينهض الخليفة وينهض معه الحُجَّاب ورجال الحاشية، فيجلس الرئيس فوق كرسي مخصص لجلوسه قبالة الخليفة"^(١).

كما تظهر معاني التعاون والتسامح مع غير المسلمين فيما فعله عمر بن عبد العزيز بعد أن تولَّى الخلافة، فقد خطب في الناس قائلاً: "من كانت له مظلمة فليرفعها"، فقام إليه رجلٌ ذميٌّ من أهل حمص أبيض الرأس واللحية، فقال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله، قال: وما ذلك؟ قال: العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي، والعباس جالس، فقال له: يا عباس، ما تقول؟ قال: أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك

==

ص ٢٨٠؛ خليل عبد الرحمن: أفسنا الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية، روافد الفنون

والثقافة، دمشق، ط٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٣٠.

(١) رحلة التطيلي، ص ٣٠٢.



وكتب لي بها سجلاً، فقال عمر: ما تقول يا ذمي؟ قال: يا أمير المؤمنين، أسألك كتاب الله عزَّ وجلَّ، فقال عمر: كتاب الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ من كتاب الوليد بن عبد الملك، قم فاردد عليه يا عباس ضيعته، فردَّها عليه^(١).

ويُعلِّقُ صاحب كتاب "قصة الحضارة" على تسامح الدولة الإسلامية مع غير المسلمين في البلاد الإسلامية وما حصلوا عليه من حرية خلال عصر الدولة الأموية بقوله: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون، وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى كالزرادشتيين، واليهود، والصابئين، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجةٍ من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم ... ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويُعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون سن البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمى الشديد والفقير، وكان الذميون يعفون في نظير هذه الضريبة من الخدمة العسكرية"^(٢).

ويقول أيضاً: "وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحَّبوا بالعرب الذين حرَّروهم من ظلم حكامهم السابقين .. وأصبحوا يتمتعون بكامل

(١) ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ت: ٥٩٧هـ/١٢٠١م): صفة الصفة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص٣٦٦.

(٢) ول ديورانت (ويليام جيمس ت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٣، ص١٣٠-١٣١.



الحرية في حياتهم وممارسة شعائر دينهم .. وكان المسيحيون أحرارًا في الاحتفال بأعيادهم علنًا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجًا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين .. وأصبح المسيحيون الخارجون على كنيسة الدولة البيزنطية، الذين كانوا يلقون صورًا من الاضطهاد على يد بطاركة القسطنطينية وأورشليم والإسكندرية وإنطاكيا، أصبح هؤلاء الآن أحرارًا آمنين تحت حكم المسلمين^(١).

ونتيجةً لهذا التسامح الديني أقبل كثيرٌ من أصحاب الأديان الأخرى على الدخول في الإسلام، ليسوا مرغمين - كما يدعي البعض -، ولكن اعترافًا منهم بسماحة الإسلام^(٢)، ونظرتهم للتسامح الذي تميز به المسلمون في البلاد المفتوحة خاصة خلال العصر الأموي، وقد أكد على ذلك العديد من المستشرقين^(٣)، مثل:

١- توماس آرنولد (ت: ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" كتب عن تسامح المسلمين مستشهدًا برسالة البطريق النسطوري يشوع ياف الثالث إلى سمعان مطران ريفاردشير ورئيس أساقفة فارس يقول

(١) قصة الحضارة، ج١٣، ص ١٣١-١٣٢.

(٢) عبد الشافي محمد عبد اللطيف: العالم الإسلامي، ص ٣١٩.

(٣) جمع مستشرق، وهي تطلق بالمعنى العام على كل عالم غربي اشتغل بدراسة الشرق كله من حيث لغته، وآدابه، وحضارته، أما بالمعنى الخاص، فتطلق على كلٍ من اهتمَّ بالدراسات المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وعقائده وتشريعاته، فالمستشرق لا بدُّ أن ينتمي إلى الغرب. إدوارد سعيد: الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٧، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٢٠.



فيها: "إن العرب الذين مَنَحهم الله سلطان الدنيا يشاهدون ما أنتم عليه، وهم بينكم كما تعلمون ذلك حق العلم، ومع ذلك فهم لا يُحاربون العقيدة المسيحية، بل على العكس يَعطِفون على ديننا، ويُكرِّمون قُسُنَا وقديسي الرب، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار"^(١).

وقال أيضًا: "لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامحٍ عظيمٍ منذ القرن الأول للهجرة، واستمرَّ هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحقِّ أنَّ القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح"^(٢).

٢- المستشرق الألمانية زيغريد هونكة (ت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) علقت على عملية التسامح والتعاون وسياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في العصر الأموي بقولها: "العرب لم يَفْرِضُوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام؛ فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قَبْل الإسلام أبشعَ أمثلةً للتعصب الديني وأفظعها، سُمِح لهم جميعًا دون أيِّ عائق يَمْنَعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يَمَسُّوهم بأدنى أدنى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟ ومن ذا الذي

(١) ترجمه إلى العربية: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،

(د. ط.)، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) ص ٦٩ - ٧٠.



لم يتنفس الصُّعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ، وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجُدُد لم يزجُوا أنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية، فبطريك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريك القسطنطينية عن العرب: "إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتَّة، وهم لا يستخدمون معنا أيَّ عنف"^(١).

٣- المستشرق دوزي قال: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدَّى إلى إقبالهم على الإسلام، وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة"^(٢).

٤- ويقول غوستاف لوبون (ت: ١٣٥٠هـ/١٩٣١م): "إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم .. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغةً له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهدٌ بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى"^(٣).

(١) شمس العرب تسطع على الغرب = أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق

بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٣٦٥.

(٢) عليّ حسني الخربوطلي: الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،

القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ١١١ بتصرف.

(٣) حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)،



هذه الأقوال إنما هي غيضٌ من فيضٍ للأقوال التي ذكرها غير المسلمين، والتي تدلُّ بلا شكِّ على مدى التسامح الذي تميز به المسلمون خلال العصر الأموي.



المبحث الثالث: سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في

المجال العلمي

اهتمَّ الأمويون بالعلم وتقريب العلماء، ولم يكونوا ينتظرون أن يتوافد العلماء على قصورهم المفتوحة بطبيعة الحال لهم، وإنما شرعوا في دعوتهم من سائر الأقطار التي دخلت تحت سيطرة الدولة الإسلامية، مثل: العراق والشام وفارس ومصر والهند وأفريقيا والأندلس، فيحضرون إليهم مكرمين، هذا في الوقت الذي كان أندادهم من العلماء في أوريا يُحرقون ويضطهدون، وتطاردهم محاكم التفتيش^(١) في كل مكان؛ فتُوقَع بكل مبتكر منهم سوء العذاب، دون أن يجدوا مَنْ ينصفهم أو يدافع عنهم.

وقد شَجَّعت سياسة الدولة الإسلامية هذه في المجال العلمي، وهذا التحفيز والتكريم والتقدير للعلماء من غير المسلمين على اختلاف مللهم (الصابئة والمجوس واليهود والنصارى) على أن يتسابقوا لتقديم ما عندهم، وشحذ عقولهم للتفكير والاختراع والإبداع، وصاروا منذ أن ضُمت أقطارهم للدولة الإسلامية يشاركون جنباً إلى جنب مع العلماء المسلمين في ترسيخ الحضارة الإسلامية، ولم يألوا جهداً في تقديم العون لها، ومن أبرز

(١) محاكم التفتيش Inquisition ، ديوان أو محكمة كاثوليكية نشطت خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، مهمتها اكتشاف مخالفي الكنيسة ومعاقبتهم، وقد استُخدمت بشكلٍ عامٍ لمحاكمة المهترطين بواسطة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وكان ذلك من خلال محاكمات إكليريكية أو المحاكم التي كانت تقيمها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لقمع أو مكافحة المتهرطين، كما كان يطلق عليهم. محمد علي قطب: مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧٥، ٧٦.



المجالات التي ظهر نبوغهم العلمي فيها في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي:

١. العلوم العربية:

فلم تكن تلك السياسة للدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في العصر الأموي تقتصر فقط على الجوانب الدينية، ولكن شملت أيضًا الجانب الأدبي والعلمي، فقد عُرف عن الأمويين اهتمامهم بالجانب الأدبي ولا سيما الشعر، فقد أدركوا أهمية الشعراء في الدعاية السياسية لهم إزاء الأحزاب السياسية الأخرى، وأهميتهم في إبراز منجزات الدولة ودحض حجج الخصوم؛ ولذلك جمعوا حولهم جماعة من أكابر الشعراء، منهم من اختص بهم وانقطع إليهم، ومنهم من مدحهم بين الحين والآخر، وكان ذلك دأب ولاتهم أيضًا، وبعض هؤلاء الشعراء ظلَّ على ولائهم للأمويين حتى في أيام محنتهم أو تسلط خصومهم.

وقد برز عددٌ من الشعراء غير المسلمين في العصر الأموي، فقد وفدوا على الخلفاء في قصورهم وبالغوا في مدحهم؛ فقرَّبوهم منهم وأغدقوا عليهم العطايا، ومن أشهر الشعراء غير المسلمين في العصر الأموي:

ربيعة بن يحيى بن معاوية التغلبي، وهو المعروف بأعشى تغلب، شاعر اشتهر في العصر الأموي، ولد بنواحي الموصل، قصد الشام واتصل بالوليد بن عبد الملك، فكان يقد عليه بالمدائح ويعود بالعطايا، كما اشتهر بمدح مسلمة بن عبد الملك، وكان ربيعة نصرانيًّا، وعليها توفي عام ٧١٠هـ/٧١٠م، ومن شعره قوله يمدح بني عبد المذان الحارثيين:

ك حتى تناخي بأبوابها

فكعبة نجران حتم عليه



وقبلاً هم خير أربابها

تزور يزيد وعبد المسيح

ن والسمعات بأقصابها^(١).

يبادرنا الورد والياسمين

ومنهم أعشى ربعة: عبد الله بن خارجة بن حبيب بن عمرو بن حارثة بن أبي ربعة، من ساكني الكوفة، كان يقدم على الشام يمدح عبد الملك، ثم اتّصل بالحجاج بن يوسف، بعد أن تولّى الحجاج الكوفة، كما كان يقصد سليمان بن عبد الملك وهو وليّ للعهد ويبالغ في مدحه؛ فكان سليمان يغدق عليه العطايا والهبات، ومن شعره قوله:

بمهتمم حقي ولا تارع سني

وما أنا في حقي ولا في خصوصتي

ولا خانف مولاي من سوء ما أجنبي

ولا مسلم مولاي من سوء ما جنى

أقول الذي أعني وأعرف ما أعني

ونفلي في الأقوام والتعر أنني

بما أبصرت عيني وما سمعت أذني^(٢).

وأنّ فؤادي بين جنبيّ عالم

ويعدُّ الشاعر العربي النصراني الأخطل، وهو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت ابن طارقة بن عمرو، من قبيلة بني تغلب التي كانت

(١) ياقوت الحموي (أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت ت: ٦٢٦هـ / ٢٢٩م): معجم

الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب - تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب

الإسلامي - الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ج ٣، ص ١٣٠٢؛

الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت: ٣٥٦هـ / ٩٧٦م): كتاب الأغاني، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج ١١، ص ٢٨٢.

(٢) ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدين أحمد ت: ٣٢٨هـ / ٩٤٠م): العقد الفريد، دار

الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ج ١، ص ٢٦٣؛ الأصفهاني:

الأغاني، ج ١٨، ص ١٣٧ - ١٤٠.



تسكن العراق في أعالي الفرات والجزيرة ما بين الموصل والفرات - من أشهر الشعراء الذين ظهوروا في الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي، فقد ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٠هـ / ٦٤١م، واتصل بخلفاء بني أمية ببلاد الشام وأكثر في مدحهم، فاتصل ببيزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، ووصل إلى مكانة عالية منهم، فكانوا يجيزون له ما لا يجيزون لغيره من شعرائهم^(١).

وإذا ما انتقلنا إلى الجانب الغربي من الدولة الإسلامية في الأندلس نجد الأمويين هناك قد اتبعوا طريقة المشاركة في تقريب العلماء من غير المسلمين، ما دام قد أصبح لهم من المكانة العلمية ما يجعلهم يناولون هذه المكانة من القرب من الحكام والولاة، وذلك بصرف النظر أيضًا عن دينهم أو عقيدتهم، ومن أشهر علماء الأندلس من غير المسلمين خلال مرحلة البحث: حفص بن البر (ألبير) القرطبي الذي كان مقرَّبًا من الأمويين في الأندلس^(٢)، ومنهم الأسقف ربيع بن زيد الذي كان مقرَّبًا من بلاط الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه المستنصر، فقد ألَّف كتاب (تفاصيل الأزمان ومصالح الأبدان) للخليفة المستنصر، وكذلك كتاب (تقويم قرطبة) الذي تُرجم بعد ذلك إلى اللاتينية بعنوان كتاب الأنواء^(٣).

(١) الأصفهاني: الأغاني، ج ٨، ص ٢٩٠ - ٢٩٥.

(٢) ابن القوطية (ت: ٣٦٧هـ / ٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري،

دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٠٤١هـ / ١٩٨٩م، ص ٣١.

(٣) خوان فيرينت: فضل الأندلس على ثقافة الغرب، نقله عن الإسبانية: نهاد رضا، دار

إشبيلية، دمشق، ط ١، ١٠٤١هـ / ١٩٩٧م، ص ١١٦.



٢- العلوم العقلية:

أولاً: علم الطب:

ومن أشهر الأعلام: ابن أثال الذي عُرفَ عنه أنه كان نصرانيًا، وهو من أشهر أطباء دمشق في عهد معاوية بن أبي سفيان، فعندما تولى معاوية ولاية دمشق اصطفاه لنفسه، وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له حين غيابه، والثوق به، والمحاذثة معه ليلاً ونهارًا، وقد كان ابن أثال خبيرًا بالأدوية المفردة والمركبة وأنواعها خاصة السموم القاتلة^(١)، وقد كان متميزًا في الأدوية المفردة والمركبة، خبيرًا بالسموم، حزن معاوية على موته حزنًا شديدًا^(٢).

وكذلك الطبيب اليهودي "ما سرجوية"، ويسمى أيضًا "ماسرجيس"، وهو سرياني اللغة، وكان طبيبًا خاصًا لمرwan بن الحكم (ت: ٦٥هـ/ ٦٨٥م)، كما لعب دورًا مهمًا في الترجمة من السريانية إلى اللغة العربية، فقد ترجم كتاب كُنَاش في الطب؛ ترجمه في خلافة مروان بن الحكم، وعندما وجد عمر بن عبد العزيز هذا المصنف بعد ترجمته في خزائن الكتب، أمر بإخراجه ووضعها في مصلاه، واستخار الله في إخراجه إلى

(١) ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٧١؛ ابن فضل الله العمري (أحمد بن يحيى شهاب الدين ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج ٩، ص ٣١٩.

(٢) أحمد حسنين القرني: قصة الطب عند العرب، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ص ٢٢-٢٣.



المسلمين؛ لينتفعوا به، فلما تمَّ له ذلك في أربعين يوماً أخرجهم إلى الناس وبتَّه في أيديهم^(١).

ومنهم كذلك تياذوق (ت: ٩٠هـ / ٧٠٩م) وهو من الأطباء الذين اشتهروا بقوة الرأي في مجال الطب، وقد كان قريباً من الحجاج بن يوسف الثقفي، فكان يعتمد عليه ويثق بمداواته^(٢).

وكذلك عبد الملك بن أبجر الكناني الطبيب النصراني الشهير، والذي كان مقيماً في مدينة الإسكندرية؛ لأنه كان المتولي في التدريس بها، أسلم على يد عمر بن عبد العزيز قبل أن يتولى الخلافة سنة ٩٩هـ / ٧١٨م، وصحب عمر بن عبد العزيز حيث كان طبيبه الخاص يعتمد عليه في صناعة الطب والدواء^(٣).

كما ظهرت أُسْرٌ لا تنتمي للدين الإسلامي وظهر نبوغها العلمي في الدولة الإسلامية بفضل سياسة التسامح التي اتبعتها الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين، حيث لم تكن تتحيز الدولة ضدهم بسبب مخالفتهم لهم في الدين، بل كانوا يجدون كل رعاية من جانب الخلفاء والولاة في الدولة الإسلامية، فكانوا مقرَّبين من مجالسهم، متخذين منهم أطباء خاصين بهم، كما تَوَلَّوْا رئاسة المراكز البحثية العلمية التي كانت منتشرة في أنحاء الدولة الإسلامية، ومن أشهر هذه الأسر العلمية: أسرة أبي الحكم الدمشقي، وهي عائلة كبيرة اتخذت الطب حرفة لها ما يقارب ثلاثة قرون، وقد كان لهذه

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٢٨٠.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ١٧٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٤٧.

(٣) أحمد حسنين القرني: قصة الطب عند العرب، ص ٢٢.



العائلة مكانةً خاصّةً في قلوب خلفاء بني أمية؛ فقد كان منهم الأطباء البارزون المحنّكون، وقد ظلّت هذه الأسرة محتكرة الطب حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تقريبًا، وقد كان أهمُّ ما يميز هذه العائلة أنه كلما مات منهم طبيبٌ خَلَفَهُ مَنْ هو خيرٌ منه، فكانوا يتوارثون العلم عن جدارة وتميُّز؛ لذلك كانت لهم مكانة خاصّة في نفوس الخلفاء الأمويون.

ويأتي في مقدمة هذه العائلة مؤسسها الأكبر أبو الحكم الدمشقي، الذي كان من أطباء معاوية بن أبي سفيان، وكان عالمًا بتركيب الأدوية، وسيّره معاوية إلى مكة المكرمة طبيبًا لابنه يزيد حين جعله معاوية أميرًا للحج، ومنذ ذلك الحين بدأ نجم أسرة أبي الحكم الدمشقي يعلو ويرتفع حتى وصل إلى عصر عبد الملك بن مروان والذي استقدمه إلى دمشق عندما أصابه مرضٌ في معدته وعجز الأطباء عن علاجه، فلمّا قَدِمَ قال له: "إن شربت الماء قبل زوال علتك وافاك الموت؛ فامتنع عبد الملك عن شرب الماء يومين، وفي اليوم الثالث دعا بالماء فشربه فمات من ساعته كما أنذره الطبيب أبو الحكم"، وقد ذكر المؤرخون هذا الحديث لإقامة الدليل على براعته في علم الطب وتفوقه، وقد عاش مائة سنة^(١).

وما إن مات الأب حتى ورث ابنه الحكم مجد أبيه في الطب، فنال شهرته في دمشق، وقد كان الابن مثل أبيه، فاضلاً عالمًا بصناعة الطب ويجيد ممارستها، استدعاه عدد من خلفاء الدولة الأموية وكذلك العباسية فيما بعد، حيث عُمر الولد مثل أبيه حوالي مائة وخمس سنين، ومات في

(١) المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.



سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م^(١)، ليأتي بعد ذلك عيسى بن حكم الدمشقي في عصر الدولة العباسية والمعروف بمسيح صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب إليه^(٢).

وفي الأندلس برع الطبيب ابن ملوكة النصراني الذي عاش في أيام الأمير عبد الرحمن الناصر، وكان يصنع الأدوية بنفسه، وكان على باب داره ثلاثون كرسيًا ليجلس عليها المرضى^(٣)، إلى غير ذلك من العلماء غير المسلمين والذين نبغوا في ظل الحضارة الإسلامية حيث قبلها للآخر وتسامحها معه ومعايشتها للآخر معايشة سلمية في المجال العلمي؛ وهو ما كان سببًا في التطور العلمي الذي استفاد منه الغرب فيما بعد خلال عصر النهضة الأوروبية.

ثانيًا: علم الترجمة:

عُرف عن بني أمية حُبهم للعلم والعلماء، ومن بين رجال تلك الدولة خالد بن يزيد بن معاوية^(٤) الذي كانت له اهتمامات علمية في العديد من التخصصات المختلفة، ومن بين تلك التخصصات الكيمياء، حيث لقب

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ١٧٦ - ١٧٧؛ أحمد حسنين القرني: قصة الطب عند العرب، ص ٢٤.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ١٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٨٦.

(٤) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، عُرف عنه أنه من رجالات قریش المتميزين بالفصاحة، والسماحة، خبيرًا بالطب والكيمياء شاعرًا، حكيمًا، مات سنة ٩٠هـ/٧٠٩م، وقيل: سنة ٨٥هـ/٧٠٤م. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٣، ص ١٢٣٨ - ١٢٤١.



بحكيم آل مروان، وبسبب تلك المكانة العلمية أمر باستقدام مجموعة كبيرة من الفلاسفة المصريين واليونانيين، وطلب منهم ترجمة العديد من الكتب سواءً المصرية القديمة أو اليونانية في مجالات الكيمياء والفلك والنجوم والطب، وكان من بين العلماء الذين استعان بهم في تلك العملية راهبٌ نصرانيٌّ يُسمى (مريانس) والذي طلب منه خالد بن يزيد أن يعلمه الكيمياء، بالإضافة إلى استعانته بالمصري الإسكندراني النصراني (أسطفن)، الذي نجح في ترجمة كتاب للخليفة خالد بن يزيد في علم الكيمياء^(١).

وممن برع في علم الترجمة في ذلك العصر الأموي يوحنا الدمشقي (ت: ١٣١هـ / ٧٤٩م) حيث كان ماهرًا في العديد من اللغات، منها العربية واليونانية والفارسية، وكان ملازمًا ليزيد بن معاوية، وكذلك الطبيب ماسرجيس الذي كان مترجمًا من السريانية إلى العربية إلى جانب شهرته في مجال الطب^(٢)، وقد عمل مترجمًا للخليفة مروان بن الحكم؛ فترجم له كتاب أهرن بن أعين من السريانية إلى العربية^(٣).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٢، ص ٢٢٤.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٢.



المبحث الرابع: سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في

المجال الاجتماعي

الإنسان في نظر الإسلام مُكْرَم، بغضِّ النظر عن دينه، وأصله، وعقيدته، ومركزه وقيّمته في البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، فقد خلقه الله مُكْرَمًا، ولا يَمْلِك أحد أن يُجَرِّدَهُ من كرامته التي أودعها في خلقته، وجعلها من فطرته وطبيعته، يستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن كتاب الله، وبمحمد بن عبد الله رسول الله ونبيه، وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى، أو من لا دين له، فالكرامة البشرية حقٌّ مشاع يمتنع به الجميع من دون استثناء لأحد، وذلك ذروة التكريم وقمة التشريف، وقد تعددت سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين في المجال الاجتماعي خلال العصر الأموي على النحو الآتي:

١- حرية العمل، واللغة الرسمية في الدواوين:

وتأصيلًا لهذا المبدأ فقد تمتّع غير المسلمين بحرية تامة في المجال الاجتماعي؛ حيث تمتعوا بكلِّ حقوق المواطنة في الدولة الإسلامية، وكانت العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغيرهم يسودها روح الود والتفاهم والتسامح إلا في بعض الفترات القليلة التي ربما يحدث فيها خلافٌ بين الطرفين، إلا أنّ السمة العامة والغالبة كانت نبذ الكراهية والعنف، فقد سُمح لغير المسلمين بالتمتع بالحرية الاجتماعية الكاملة في الدولة الإسلامية، من حيث العمل ومزاولة النشاط التجاري والاقتصادي والصناعي، فعملوا بصناعات عدة؛ مثل صناعة المنسوجات والعمود والأسلحة والزجاج وصناعة السفن، بل امتلكوا هذه السفن، وزاولوا التجارة، ووصلوا إلى أماكن



عديدة في الشرق والغرب^(١)، ولم يقتصر الأمر على هذا، بل عملوا كذلك بالزراعة والخل والقطن والصيرفة، إضافة إلى أنهم قد احتكروا تجارة الذهب واللؤلؤ^(٢)، بل لم يحظر عليهم من الطعام والشراب إلا ما كان محظوراً من قبل الإسلام مثل: لحم الخنزير، والخمر، والتعاملات بالربا، وقد كتب عمر بن عبد العزيز لولاته على الأمصار أن لا يدخل أهل الذمة بالخمير أمصار المسلمين، فكانوا لا يدخلونها^(٣).

وكذلك منذ بداية الفتح الإسلامي لمصر سمح المسلمون للأهالي باستخدام لغتهم القبطية لأول مرة في الوثائق القانونية، وهو الشيء الذي لم تسمح به الحكومة البيزنطية من قبل، ولم تكن اللغة القبطية مستعملة كلغة رسمية عند الفتح الإسلامي، بل المعروف أن الصلوات في الكنائس والأديرة كانت تُقرأ باليونانية وتُشرح بالقبطية، بل كانت اليونانية لغة الوثائق والإدارة منذ العصر البطلمي حتى دخول الإسلام، واستمر الحال كذلك حتى أصبحت العربية هي اللغة الرسمية في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٥هـ / ٦٨٤-٧٠٥م)، إلا أن القبطية ظلت تستعمل إلى جانبها حتى العصر العباسي إلى أن أصبحت العربية بمفردها لغة الوثائق الرسمية

(١) ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت: نحو ٢٨٠هـ / ٨٩٣م): المسالك والممالك - دار صادر أفست ليدن - (د. ط) - بيروت ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م، ص ١٥٣-١٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٥م): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٥، ص ٢٨٣.



والقانونية؛ ولذلك توجد بعض الوثائق المدونة باللغات الثلاث العربية واليونانية والقبطية ترجع إلى القرنين الأول والثاني الهجريين^(١).

٢. المصاهرة:

ومن ضمن صور سياسة التسامح والتفاهم والمشاركة خلال العصر الأموي وجود مصاهرات بين رجال مسلمين ونساء من أهل الكتاب حيث أباح الإسلام ذلك، فقد تزوج الخليفة معاوية بن أبي سفيان من ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية النصرانية^(٢)، التي أنجبت له ابنه يزيد الذي أصبح خليفة للمسلمين بعد وفاة أبيه معاوية سنة ٦٦٠هـ / ٦٨٠م^(٣).

٣. حرية الاحتفال بالأعياد:

كما كان لغير المسلمين الحق في حرية الاحتفال بأعيادهم الدينية نتيجةً لعملية التفاهم الذي كان سائدًا في ذلك الوقت، فلم يتدخل المسلمون لمنعها، بل على العكس كان أفراد المجتمع يشاركون فيها، فكانت الشوارع

(١) قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٣٤.

(٢) ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة بن قنافة الكلبية، زوج معاوية بن أبي سفيان، وأم يزيد بن معاوية، امرأة لبينة عاقلة، شاعرة، وهي امرأة بدوية كانت تحب البادية، وتقلت عليها الغربية فطلقها معاوية وهي حامل بيزيد، وأعادها إلى أهلها، وماتت سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٢٩؛ ابن عساکر: تاريخ دمشق، ج ٧٠، ص ١٣٠.



خاصةً في مصر تتزين في عيد الشعانين^(١)، وكان الناس يخرجون إلى المنتزهات والأماكن العامة لمشاركة النصارى في عيدهم^(٢)، وكذلك في عيد الفصح الذي كان الناس يخرجون فيه وخاصة أهالي بغداد من المسلمين والنصارى إلى دير سمالو شرق بغداد للهو واللعب احتفالاً بهذا العيد^(٣).

وكذلك المشاركة في الاحتفال بعيد الغطاس^(٤) الذي كانت تتزين فيه شوارع مصر بالزينة، وكان يخرج الولاة وكبار الموظفين للمشاركة في هذا

(١) عيد الشعانين: يتم الاحتفال به يوم الأحد الثاني والأربعين من الصوم، وهو اليوم الذي دخل فيه المسيح أورشليم (القدس) راكباً حماره، فاستقبله أهالي المدينة من الرجال والنساء والصبيان، وبأيديهم سعف من النخيل، وورق الزيتون؛ لذلك يعرف أيضًا بعيد الزيتون. أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ١، ص ٩١؛ النويري (أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ١، ص ١٩١؛ الأنبا غريغوريوس: الأعياد المسيحية، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٨٤.

(٢) المقرئزي (نقي الدين أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٧ - ٢٩.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٤) الغطاس أو التعميد: ويعرف أيضًا بعيد الدنح، ويتم الاحتفال به في السادس من شهر كانون الثاني (يناير)، وهو اليوم الذي قام فيه يحيى بن زكريا (عليهما السلام) المعروف عند النصارى بيوحنا المعمدان، بتعميد المسيح؛ أي غسله في بحيرة الأردن (طبرية)، وعندما خرج المسيح من الماء اتصل به روح القدس، فصار جميع سكان الدولة البيزنطية يغمسون أولادهم في الماء خاصة في الأيام شديدة البرودة في هذا اليوم تعظيمًا له. أبو الفدا: المختصر، ج ١، ص ٩١؛ المقرئزي: الخطط،

==



الاحتفال، ويصف المسعودي مظاهر هذا الاحتفال في مصر والذي شارك فيه هو بقوله: "وليلة الغطاس بمصر شأنٌ عظيمٌ عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي من طوبة وستة من كانون الثاني،..... وبجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، وقد حضر النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين والنصارى، منهم في الزوارق، ومنهم في الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط، لا يتناكرون الحضور، ويُحضرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف، وهي أحسن ليلة تكون بمصر، وأشملها سرورًا، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثرهم (يقصد النصارى) في النيل، ويزعمون أن ذلك أمانٌ من المرض ومبرئٌ للداء"^(١).

ويعلق المستشرق آدم متز على مشاركة المسلمين للنصارى في أعيادهم كمظهر من مظاهر التسامح والتفاهم والألفة بقوله: "تدل أعياد المسلمين على مقدار رقة المظهر الإسلامي الذي يحيط بالحياة العامة، فقد كان المسلمون يحتفلون بجميع الأعياد النصرانية ... وقد تركوا النصارى

==

ج ٢، ص ٢٩؛ شنودة الثالث: عيد الغطاس والقديس المعمدان، الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية بالعباسية، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص ٢٤ - ٢٥.
(١) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٢٥٨.



يتصرفون في أمورهم الدينية من غير تدخل في ذلك، واشتركوا في الجانب المسلمي من تلك الأعياد كما فعل آباؤهم من قبل"^(١).

٤. المساواة أمام القضاء:

ومن دلائل العلاقات الاجتماعية الطيبة، وسياسة التفاهم والتسامح في الجانب الاجتماعي: مساواة أصحاب الأديان المختلفة أمام القضاء في المحن والأزمات التي تقع لأيٍّ منهم، فقد تخاصم الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك مع بعض أهل دير إسحاق بالناعورة، فقال له عمر بن عبد العزيز: "لا تجلس على الوسائد وخصماؤك بين يدي، ولكن وكل بخصومتك من شئت، وإلا فجائي القوم بين يدي، فوكل مولى له بخصومته، ففضى عليه بالناعورة -مع العلم بأنه كان صهره وابن عمه-"^(٢) وكانت القضايا التي تخص أهل الذمة مع بعضهم يفصل بينهم فيها رؤساؤهم الدينيون^(٣).

٥. التكافل الاجتماعي:

كما شمل التسامح والتشارك في المجال الاجتماعي الرعاية الاجتماعية لغير المسلمين من قبل الدولة الإسلامية، فقد عمل الأمويون على الاهتمام بقراء غير المسلمين، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى

(١) الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢) ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ت: ٥٩٧هـ / ١٢٠١م): سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٩١.

(٣) الأصفهاني: كتاب الأغاني، ج ٨، ص ٣٠٩.



عامله على البصرة برعاية الضعفاء والفقراء منهم، قائلاً له: "وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه"^(١).

كما كتب إلى زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، وكان والياً على الكوفة، قائلاً له: "قد اجتمعت عندك أموالٌ بعد أعطية الجند، فأعط من أهل الذمة من كان عليه دين في غير فساد أو تزوج والسلام"، ففعل زيد وكتب إليه: "إنه قد بقي عندنا بعد ذلك، فكتب إليه عمر: أن قو أهل الذمة، فإننا لا نريدهم لسنة ولا لسنتين"^(٢).

كما كان العلماء والفقهاء يوصون الخلفاء بالإحسان لغير المسلمين - خاصة من أهل الذمة - ورعايتهم اجتماعياً^(٣).

(١) أبو عبيد الهروي: الأموال، ص ٥٦.

(٢) ابن عبد الحكم (عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري ت: ٢١٤هـ / ٨٢٩م): سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط ٦، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٦٣، ٦٤.

(٣) أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ت: ١٨٢هـ / ٧٩٨م): الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ص ١٣٨.



الخاتمة

الحمد لله وحده، والصَّلَاة والسَّلَام على من لا نبيَّ بعده، الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وأصليِّ وأسلمٍ على أصحاب المقامات من آله وأصحابه الذين دعاهم إلى وحدانية الله فكانوا من أصحاب الاستجابات.

وبعد:

فقد ظهر من خلال الصفحات السابقة كيف تعاملت الدولة الإسلامية مع المخالفين لها أثناء عصر الدولة الأموية، وأن سياسة التسامح والتفاهم ونبذ الكراهية والعنف كان مبدأ إسلامياً أصيلاً لا يمكن الاستغناء عنه، وقد توصلتُ في تلك الدراسة إلى العديد من النتائج التي من أهمها:

- أثبتت الدراسة أنَّ النظرية السياسية للدولة الإسلامية خلال العصر الأموي لم تضع العقبات أمام رعاياها من غير المسلمين، بل أتاحت لهم القدر الكافي من الحرية والتسامح والتعايش داخل إطار الدولة الإسلامية.

- بيَّنت الدراسة أن الدولة الأموية قد التزمت بحماية الرهبان ورجال الدين من أهل الذمة، خاصة المراسيم التي أصدرها الخلفاء وكبار رجالهم، وأكدوا فيها حرصهم الشديد على الالتزام بروح الإسلام السمحة وتقرير العدالة تجاه أهل الذمة عملاً بما تفرضه الشريعة الإسلامية السمحة.

- أكدت الدراسة دور غير المسلمين في الشؤون السياسية والإدارية والعلمية للدولة الإسلامية، بحيث أصبح لا غنى عنهم في تصريف العديد من أمور الدولة الإسلامية.



- بينت الدراسة وصول عدد من غير المسلمين إلى مكانة اجتماعية وعلمية وإدارية مرموقة لدرجة أن الخلفاء لم يكونوا يستطيعون الاستغناء عنهم في وقت من الأوقات.

- أظهرت الدراسة أن غير المسلمين تمتعوا في ظل سياسة الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي بمكانة دينية عالية مكنتهم من ممارسة شعائرهم الدينية في حرية وتسامح ديني مشهود له خلال هذا العصر.

- أوضحت الدراسة أن غير المسلمين قد أسهموا بإسهامات عديدة وإيجابية في نشاطات المجتمعات الإسلامية التي عاشوا فيها خلال العصر الأموي، وقد شاركهم المسلمون في الاحتفال ببعض أعيادهم وبادلهم الهدايا والزيارات في مثل تلك المناسبات.

- أكدت الدراسة بروز أسماء عديدة لمجموعة من غير المسلمين في ميادين الطب والأدب وغيرها من العلوم المختلفة؛ بفضل سياسة الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي.

- بينت الدراسة أن سياسة التعايش السلمي والتسامح التي اعتمدها الدولة الأموية تجاه غير المسلمين، والتي أصبحت جزءاً من الحضارة الإسلامية؛ إنما هي مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

- أفصحت الدراسة عن أن المؤرخين قد رصدوا العديد من المواقف التاريخية التي تثبت تبني التعايش والتسامح والتفاهم والمشاركة مع غير المسلمين خلال العصر الأموي.

- أثبتت الدراسة أن مظاهر التفاهم والتعايش المشترك بين المسلمين وغيرهم تدل على وحدة أصول الأديان السماوية الثلاثة؛ وهذا يجعلها قريبة من بعضها البعض بالقدر الذي يسمح بفتح آفاق الحوار والتفاهم والتعايش المشترك عبر العصور المختلفة.

أضواء على سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين خلال العصر الأموي



وفي النهاية أقول: بهذه السياسة نجحت الدولة الإسلامية خلال العصر الأموي في الحفاظ على نسيج المجتمع وروابطه المختلفة وقيم التسامح والإخاء والتعايش المشترك والتفاهم بين أصحاب الديانات المختلفة.

والآخر وهو أنا لله الحمد لله رب العالمين.



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين ت: ٣٥٦هـ/٩٧٦م).
- ١- كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة ت: ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م).
- ٢- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار ومكتبة الحياة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).
- ٣- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- بنيامين التطيلي (الرابي ابن الرابي يونة الإسباني ت: ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م).
- ٤- رحلة بنيامين التطيلي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).
- ٥- رحلة ابن جبير، دار بيروت، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٣م).
- ٦- كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.



ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ت: ٥٩٧هـ/٢٠١م).

٧- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبطه وشرحه:
نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٨- صفة الصفوة، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ط١،
١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا
ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،
١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م).

١٠- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس،
مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت: نحو ٢٨٠هـ/٨٩٣م).

١١- المسالك والممالك- دار صادر أفست ليدن- (د. ط)- بيروت
١٣٠٦هـ/١٨٨٩م.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد أبو زيد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

١٢- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من
ذوي الشأن الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة،
دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن خلكان (شمس الدين أحمد أبو العباس ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م).

١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار
صادر، بيروت، (د. ط) ١٣١٨هـ/١٩٠٠م.



مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها العدد [١٢]

خليفة بن خياط (أبو عمرو الشيباني البصري ت: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).

١٤- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

١٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٦- تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

١٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ابن رجب الحنبلي (أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ت: ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م).

١٨- الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد ت: ٢٣٠هـ / ٨٤٥م).

١٩- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

ابن شاعر (محمد بن شاعر ت: ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م).

٢٠- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ابن شداد (يوسف بن رافع أبو المحاسن ت: ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م).

٢١- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د. ط)، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.



الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت: ٥٧٦٤ / ١٣٦٣ م).

٢٢- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار

إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

الطبري (محمد بن جرير أبو جعفر ت: ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م).

٢٣- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢،

١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

ابن عبد الحكم (عبد الله بن عبد الحكم ت: ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م).

٢٤- سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس

وأصحابه، تحقيق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط٦،

١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

ابن عبد ربه (أبو عمر شهاب الدين أحمد الأندلسي ت: ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م).

٢٥- العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

ابن عساکر (أبو القاسم علي بن الحسن ت: ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م).

٢٦- تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، دار الفكر،

بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

العمري (أحمد بن يحيى شهاب الدين بن فضل الله ت: ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م).

٢٧- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سلمان

الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي ت: ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م).

٢٨- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة،

ط١، (د.ت).



مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها العدد [١٢]

ابن الفقيه (أحمد بن محمد أبو عبد الله ت: ٣٦٥هـ / ٩٧٦م).

٢٩- البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، ط١،
١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي ت: ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).

٣٠- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب
اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت: ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).

٣١- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين ت: ٣٤٦هـ / ٩٥٧م).

٣٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، ط١،
١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

ابن مسكويه (أحمد بن محمد بن يعقوب ت: ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).

٣٣- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، دار
سروش، إيران، ط٢، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

مغلطاي (ابن قليج بن عبد الله المصري ت: ٧٦٢هـ / ١٣٦١م).

٣٤- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو عبد الرحمن
عادل بن محمد، وأبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للنشر، القاهرة،
ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت: ٨٤٥هـ / ١٤٤١م).

٣٥- المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط
المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.



النعمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ت: ٩٢٧هـ / ١٥٢١م).

٣٦- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

النوري (أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين ت: ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م).

٣٧- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

الهروي (أبو غيب القاسم بن سلام ت: ٢٢٤هـ / ٨٣٩م).

٣٨- الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ط١، (د. ت).

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م).

٣٩- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٠- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ت: ١٨٢هـ / ٧٩٨م).

٤١- الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

ثانياً: المراجع:

أحمد حسنين القرني.

٤٢- قصة الطب عند العرب، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.



حامد محمد الهادي الشريف.

٤٣- أحوال غير المسلمين في بلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي،
عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

حسن الباشا.

٤٤- مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١،
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

خليل عبد الرحمن.

٤٥- أستا الكتاب المقدس للديانة الزرداشتية، روافد الفنون والثقافة،
دمشق، ط٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

رأفت محمد النبرواي.

٤٦- الآثار الإسلامية العمارة والفنون والنقود، نشر المعهد العالي
للدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

الزركلي (خير الدين بن محمود الدمشقي ت: ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

٤٧- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب
والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ /
٢٠٠٢م.

سيدة إسماعيل كاشف.

٤٨- مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة
الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ /
١٩٩٤م.

شنودة الثالث.

٤٩- عيد الغطاس والقديس المعمدان، الكلية الإكليريكية بالكاتدرائية
بالعباسية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.



عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

٥٠- العالم الإسلامي في العصر الأموي دراسة سياسية، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

علي حسني الخربوطلي.

٥١- الإسلام وأهل الذمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (د. ط)، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

علي طنطاوي.

٥٢- الجامع الأموي في دمشق وصف وتاريخ، دار المنارة، جدة، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

غريغوريوس.

٥٣- الأعياد المسيحية، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

قاسم عبده قاسم.

٥٤- أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك دراسة وثائقية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

مجموعة مؤلفين.

٥٥- موسوعة الأديان الميسرة، نشر دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

محمد رمزي.

٥٦- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.



محمد علي عبد الحفيظ، عبد المعز فضل عبد الرزاق محمود.

٥٧- دراسات في التاريخ والحضارة الإسلامية، القاهرة، ط١،
١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

محمد علي قطب.

٥٨- مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، مكتبة القرآن، القاهرة،
ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

محمد عمارة.

٥٩- العطاء الحضاري للإسلام، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)،
١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦٠- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار
الشروق، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

محمود شاكر.

٦١- مواطن الشعوب الإسلامية في آسيا (تركية)، المكتب الإسلامي،
بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

مصطفى السباعي.

٦٢- من روائع حضارتنا، دار الوراق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١،
١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

يحيى شامي.

٦٣- موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت،
ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.



ثالثاً: المراجع العربية:

آدم متز.

٦٤- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله للعربية: محمد عبد الهادي أبو ريذة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

أ. س. ترتون.

٦٥- أهل الزمة في الإسلام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

إدوارد سعيد.

٦٦- الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط٧، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

خوان قيرينت.

٦٧- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، نقله عن الإسبانية: نهاد رضا، دار إشبيلية، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

زيغريد هونكة (ت: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٦٨- شمس العرب تسطع على الغرب = أثر الحضارة العربية في أوروبا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

ستيفن رنسيمان.

٦٩- الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.



سير توماس. و. أرنولد.

٧٠- الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمه إلى العربية: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د. ط)، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

غوستاف لوبون (ت: ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م).

٧١- حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

كارل بروكلمان.

٧٢- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية: نبيه أمين فارس، ومدير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ول ديورانت (ويليام جيمس ت: ١٤٠١هـ / ١٩٨١م).

٧٣- قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

يوليوس فلهوزن.

٧٤- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، نقله للعربية من الألمانية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.



رابعاً: الرسائل العلمية:

رسائل الدكتوراه:

مصطفى محمد عبد النبي محمد عوض.

٧٥- مخصصات الحرمين الشريفين في مصر في العصر الأيوبي

(٥٦٧ - ٥٦٤٨ هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠ م)، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية،

القاهرة، قسم التاريخ والحضارة، ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م.